مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية
المجلد 5 (4) – 2025: 73- 100

Damascus University Journal of Legal Sciences
Vol 5 (4) -2025: 73 - 100

مصطلح الهدى والضلال عند الأشاعرة (دراسة وصفية تحليلية)

محاسن أحمد خولندي[1]، مدين هواري*[2]

[1]طالبة ماجستير، قسم العقائد والأديان، كلية الشريعة، جامعة دمشق.

[2]* مدرّس، قسم العقائد والأديان، كلية الشريعة، جامعة دمشق.

Median.alhawari@damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

إن الحديث عن الهدى والضلال ومراتبهما هو من أهم أبواب القدر، فجميع رسل الله وكتبه المنزلة اتفقت على أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويهدف هذا البحث إلى التعرف على مصطلحي الهدى والضلال عند الأشعرية وذلك بغية إلقاء الضوء على بعض المصطلحات في علم الكلام، والتمكن من التعامل معها دون إساءة فهمها، ضمن سياقها وظروفها تعاملاً علمياً يحقق مقاصد العقيدة، ولتحقيق هذا الهدف بدأ الباحث بتمهيد عن أهمية المصطلح، وقسّم البحث إلى ثلاثة مباحث: الأول: جاء البحث فيه عن معاني الهدى والضلال في المعاجم اللغوية ودلالات المصطلحين في القرآن الكريم والسنة الشريفة، وعند المفسرين، والمبحث الثاني: تتبع مفهوم الهدى والضلال ومراتبهما، والتعرف على المعنى الاصطلاحي عند الأئمة الأشاعرة، وما هو المقدور منهما للخلق وما هو غير المقدور، والمبحث الثالث: دراسة تحليلية في دلالات هذين المصطلحين عند الإمام أبو الحسن الأشعري، وأئمة المذهب الأشعري.

الكلمات المفتاحية: الهدى، الضلال، مصطلح، الأشعري.

تاريخ الايداع: 2022/11/30
تاريخ القبول: 2023/3/3

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب
CC BY-NC-SA

ISSN: 2789-7621 (online)
https://journal.damascusuniversity.edu.sy

The Ash'aris' Notion of Righteousness and Perversion A Descriptive Analytical، Study

Mahasen Ahmad Kholandi[1], Midian Hawari[*2]

[1]Master's student, Department of Theology and Religions, Faculty of Sharia, Damascus University.

[2*]Lecturer, Department of Theology and Religions, Faculty of Sharia, Damascus University.

Median.alhawari@damascusuniversity.edu.sy

Received: 30/11/2022
Accepted: 3/3/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC **BY- NC-SA**

summary:

Investigating the notions of righteousness and perversion and their sub-branches is the most important pillar of Destiny. Thus, most Allah's prophets and His delivered books concurred that Allah guides through whom he wills and perverts whom he wills. The present research aims to investigate the concepts of Righteousness and Perversion for the Ash'aris and shed some light on some notions in theology to be able to tackle these notions and avoid their misunderstanding. This research also aims to tackle these notions in a scientific manner in their approaches and circumstances. To this end, the researcher sets out to introduce the importance of these terminologies and divides the research into three subsections: The first is searching into the meanings of Righteousness and Perversion in language dictionaries and the signification of the two terminologies in the Holy Quran, in Sunna, for interpreters, and their subdivisions. The second is probing into the Ash' aris' notions of Righteousness and Perversion, examining their idiomatic meaning, and investigating what is possible for creation and what is impossible. The third is an analytical study into the Imam Abu-Hasan Al-Ash'ari's signification of these notions and into the Al-Ash'ari Imams' doctrine.

Key Words: Righteousness, Perversion, Notion, Al-Ash'ari

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه، أرسل رسله بالهدى، ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. فالصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين. وبعد:

معلوم أن الإنسان الذي تحمل الأمانة، والتكليف، قد زوده الله تعالى بقوى، وملكات، واستعدادات لأداء تلك الأمانة؛ فمنحه الله تعالى العقل الذي يميز به بين الحق والباطل، وأرشده طريق الحق؛ والهداية، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل لهداية الناس جميعاً، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾ [1] كما جعل الله في الإنسان قوة مدركة يستخدمها في تزكية وتطهير نفسه، بالإضافة إلى أن الله ميَّزَ الإنسان بحرية الاختيار بين طريق الهداية وطريق الضلال ورتب على اختياره الثواب والعقاب.

وعليه فإن مسألة الهدى، والضلال من المسائل التي ارتبطت بأفعال العباد عند المتكلمين كما ارتبطت بمسائل عديدة في دوائر علم الكلام؛ كمسألة الكسب، والحسن والقبح.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تتجلى أهمية الموضوع وأسباب اختياره في:

1. التعرف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلحي (الهدى والضلال) ومفاهيمهما في القرآن الكريم والسنة الشريفة.
2. تتبع مفهوم الهدى والضلال عند الأئمة الأشاعرة والتعرف على المعنى الاصطلاحي عندهم.
3. تعلقات مسألة الهدى والضلال بمسائل أخرى هي محل نزاع، والأساس الذي بنى عليه الأشاعرة رؤيتهم.
4. إثراء المكتبة الإسلامية بمزيد من الأبحاث التي تبحث في المصطلح والمفهوم.

منهج الدراسة:

يشتمل البحث على منهجين وهما:

1. **المنهج الوصفي:** وذلك لتتبع آراء الأئمة والتغيرات التي يحملها المصطلح.
2. **المنهج التحليلي:** حيث يستخدم في تحليل وتفكيك نصوص علماء الأشاعرة تحليلاً علمياً.

مكونات البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومنهج الدراسة ثم التمهيد، وفي المبحث الأول: التعريف اللغوي ومفهوم الهدى والضلال في القرآن الكريم ودلالات لفظ (الهدى) في الاصطلاح عند المفسرين، وفي السنة الشريفة، ومن ثَمَّ التعريف الاصطلاحي.

المبحث الثاني: رصد مصطلح الهدى والضلال عند علماء الأشاعرة في نصوصهم مع استحضار البعد التاريخي في سيرورة المصطلح واستقراره، وذلك بالتعرف على دلالات لفظ مصطلح الهدى والضلال عند الأشاعرة، والأساس الذي بنى عليه الأشاعرة تعريفهم وتتبع دلالات قضية الهداية والإضلال بين الجبر والاختيار وقضية التوفيق والخذلان.

وجاء في المبحث الثالث: الدراسة التحليلية والنقدية لمصطلحي الهدى والضلال، وبيان مقومات المصطلحين ومتعلقاتهما ضمن الرؤية الأشعرية، ومن ثم أهم النتائج.

---

[1] [النساء:165]

التمهيد:

بما أن المصطلح هو المعبر عن هوية الأمة وذاتها وأصالتها، وهو اللفظ الذي يتفق عليه المفكرون ليَدلُّوا على شيء محدد، ويميزوا به معاني الأشياء بعضها عن بعض وهو وسيلة للتعبير عن الرؤى والأفكار والتواصل واستمرار العلوم وتطورها، فقد أصبح العمل على تحديد المصطلحات ورصد تطورها الدلالي أمراً في غاية الأهمية في مجال العلم، ومن دون التعرف على ذلك لا يمكن دراسة أي علم دراسة علمية منضبطة؛ ذلك لأن المصطلحات مؤشر للفكر ومضامينه ومعبر عن الواقع المعرفي في أي مجتمع، ومما يزيد أهمية التوجه إلى هذا المجال الحيوي، والمشاركة في إلقاء الضوء على بعض هذه المصطلحات هو أن نتعامل معها دون إساءة فهمها ضمن سياقها والعوامل المصاحبة لنشأتها وظروفها تعاملاً علمياً يحقق مقاصد العقيدة.

والحديث عن النتاج الإسلامي لا يمكن أن يكون منهجياً إلا إذا تم الحديث عن مُدارسة مصطلحاته ومعاييرها وكيف استقرت، وخصوصاً في المسائل التي كانت وما زالت موضوعاً شغل الفكر الإنساني كمسألة الهداية والإضلال، ونظراً للاختلاف في مفهوميهما وتعلقهما بمسائل عقدية أخرى عند المتكلمين، كان البحث في هذين المصطلحين عند الإمام أبي الحسن الأشعري، والأئمة الأشعرية وكيفية معالجتهم لهذه الإشكالية.

فالأشاعرة خالفوا المعتزلة في المنهج؛ وذلك لأنهم لم يسندوا فعل العبد إلى العبد بل أسندوا الفعل إلى الله تعالى حقيقة وإلى العبد مجازاً، فالله هو المالك لخلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فلو أدخل الخلائق بأجمعهم النار لم يكن جوراً، لأنهم يقولون إن الله لا يُتصور منه ظلم ولا ينسب له جور ولا يجب عليه شيء، فالله هو المالك المطلق خالق كل شيء وفعل العبد خلقه.

الغزالي يقول بأن:" انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب، بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعاً، وخلق الاختيار والمختار جميعاً، فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له، وأما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة، فتسمى باعتبار تلك النسبة كسباً." [2] فلا يجري في ملكوت الله شيء إلا بمشيئة الله وقدرته، ومنه الخير والشر، والرشد والغواية، والكفر والإيمان والهدى والضلال، إلا أن مشيئة الإنسان ليست منفصلة عن مشيئة الله تعالى، ولا مستقلة عنها، بل إن الله قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقتين: طريق الهداية وطريق الضلال، وقد يظلم الإنسان هذه القوة ويغطيها ويضعفها فيخيب، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [3].

ومهما كان اختيار الإنسان فهو ضمن المشيئة الإلهية، ولكن هذه المشيئة الإنسانية محدودة مرتبطة بمشيئة الله المطلقة وتابعة له، إذ إن أعماله مهما كانت، واختياره مهما كان خيراً أم شراً حقاً أم باطلاً، لن يخرج في أدائه الأخير عن السنن الكونية التي وضعها الله في الكون.

وقد أسند القرآن الكريم: هذه المسألة إلى العبد في الكثير من آياته للتأكيد على مسؤولية الإنسان عن فعله واختياره الذي أعطاه الله له مثل قوله تعالى: ﴿جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [4] وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[5] وأنه محاسب على كسبه خيراً كان أم شراً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾. [6]

---

[2] قواعد العقائد: الغزالي، ص (190)، وإحياء علوم الدين: الغزالي، (98/1).

[3][الشمس: 9 -10]

[4] [الأحقاف: 14]

[5] [فصلت: 45]

أضف إلى ذلك أنه قد تقرر عندهم أن من رحمة الله تعالى بعباده فيما يفعله من إضلال لبعض عباده بالختم، والطبع، وغير ذلك لا يفعله بالعبد ابتداءً سبحانه وتعالى، إنما يأتي بعد تكرار الدعوة والإرشاد، والتأكيد في البيان.

إلا أنه قبل الخوض في إبراز تلك الآراء عند أصحابها؛ لابد من بيان معنى الهدى، والضلال من حيث اللغة.

المبحث الأول: الهدى والإضلال لغة واصطلاحاً:

بيان مفهوم الهدى، والضلال من حيث المعنى اللغوي في المعاجم اللغوية، والمعنى الاصطلاحي عند المتكلمين.

أولاً: الهدى والإضلال لغة:

1- (الهُدى) لغة:

ابن فارس يقول: الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان أحدهما التقدم للإرشاد والدَّلالةُ، والآخر بعثة لطف. فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده. وكل متقدم لذلك هاد ومنه الهُدَى: ضد الضَّلال. تقول: هديته هدى. والأصل الآخر الهدية: ما أهديت من لطف إلى ذي مودة. [7] تصريفاتها: هَداهُ هُدًى وهَدْياً وهِدَايَةً وهِدْيَةً، بكسرهما: أرْشَدَهُ، فَهَدَى واهْتَدَى، وهَداهُ اللهُ الطَّرِيقَ. [8] **والهُدَى:** نقيضُ الضَّلالة. هُدِيَ فاهتدى. والهادي من كلِّ شيءٍ: أَوَّلُهُ. وهَدَيْتُ لك، أي: بَيَّنْتُ لك. [9]

وفي تهذيب الأزهري: الهُدَى البَيان، والهُدَى: إِخْرَاج شَيْء إِلَى شَيْء، والهُدَى أَيْضا: الطَّاعَة والوَرَع. والهُدَى الْهَادِي [10]وهناك خلاف في أصل لفظ الهدى من الناحية اللغوية فابن منظور يرى أن معناه في الأصل الطريق لقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى﴾ [11]؛ أَي الصِّراط الَّذِي دَعا إِليه هُوَ طَرِيقُ الْحَقّ. [12] وعند الأزهري: الطريقُ يسمَّى هُدًى. [13] والزبيدي يقول: "والأصل بيان الطريق "والرَّشادُ والدَّلالَةُ بلُطْفٍ إِلَى مَا يُوصِل إِلَى المَطْلوب" (14) وقيل النهار. وعند ابن فارس أصله التقدم. [15]

وفي الكليات: هو التعرِيف والبيان والإلهام. وخُصَّ ما كان دلالةً بَهَدَيْتُ وما كان إعطاءً بأَهْدَيْتُ، نحو أَهْدَيْتُ الهديَّةَ، وهَدَيْتُ إلى البَيْت. [16]

ويظهر أن لفظ الهدى يرجع في اللغة إلى الطريق أو المتقدم للدلالة والإرشاد وتوسع اللفظ ليدل على معنى البيان والتبيين والإلهام والدعوة ولكل بيان، وإخراج شيء إلى شيء وغيرها من المعاني.

2-الإضلال لغة: ابن فارس يقول: الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه.[17]

---

[6] [المدثر: 38]

[7] مقاييس اللغة: ابن فارس (6/24- 42) المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده (4/ 370- 373) مختار الصحاح: الرازي، (ص 325) لسان العرب: ابن منظور، (15/ 353) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (6/ 2533) المحيط في اللغة (1/ 317)، مادة (هدي)

[8] القاموس المحيط: الفيروز أبادي (ص: 1345) تهذيب اللغة: الأزهري (6/ 201).

[9] العين (4/ 78)، مادة (هدي)

[10] تهذيب اللغة: الأزهري (6/ 201). القاموس المحيط: الفيروز أبادي (ص: 1345) لسان العرب: ابن منظور، (15/ 353)، تاج العروس: الزبيدي، (286/4)، مادة (هدي).

[11] [النساء: 120].

[12] لسان العرب (15/ 353).

[13] تهذيب اللغة: الأزهري (6/ 201). النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، (253/5)

[14] تاج العروس: الزبيدي (40/ 282).

[15] مجمل اللغة لابن فارس (ص 901).

[16] الكليات (ص: 954) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (5/ 313).

[17] مقاييس اللغة: ابن فارس، (3/ 356).

والضلال والضلالة ضد الهدى والرشاد وضل فِي الْأَمر ضلالاً إِذا لم يهتد لَهُ. وإذا جارَ الرَّجُلُ عن القَصْدِ، [18] وأَضْلَلْت الشيءَ إِذا غَيَّبْتَه، وأَضْلَلْت المَيِّتَ دَفَنْته. [19]

-يقال: ضَلَّ يَضِلُّ ضَلاَلاً إذا ضاعَ وهلَك وماتَ، وصارَ تُراباً وعِظاماً، وخَفِيَ وغابَ. [20]

-وأتى بمعنى عدم المعرفة، يقال (ضَلَلْتُه) لكل شيء مقيم لا يهتدى له، "**ضللت بعيري إذا كان معقولاً فلم يهتد لمكانه. و(أضللته) إذا كان مطلقاً** فمرّ ولم تدر أين أُخِذ." [21]

-ويُقَالُ: أَضْلَلْت فُلَانًا إِذا وَجَّهْتَه للضَّلال عَنِ الطَّرِيقِ أي جعلته ضالاً [22] والضلال أَن لَا يجد السالك إِلَى مقْصده طَرِيقاً أصلاً، و(الضلال) هُوَ أَن تخطئ الشَّيْء فِي مَكَانَهُ وَلم تهتد إِلَيْهِ. [23]

ويتبين مما سبق: الإضلال في اللغة ضد الهداية والإرشاد يأتي بمعنى الإضاعة والإهلاك، وفقد الاهتداء للشيء، وإذا لم تعرف المكان قلت ضللته، وإضلال الغير بمعنى جعله غير مهتدٍ، وتوجيهه للضلال عن الطريق، وبمعنى عدم المعرفة بشكل عام.

ثانياً: مصطلح الهدى الضَّلال وروده في القرآن الكريم:

1-لفظ الهدى في القرآن الكريم:

تعددت اشتقاقات هذا الجذر في القرآن، حيث جاء في نحو **ثلاثمئة وست وعشرين** موضعاً، وبصيغ متعددة ومتنوعة، [24] حيث جاء فعلاً مضارعاً في **تسعة وأربعين** موضعاً، وفعلاً ماضياً في **سبعة وثلاثين** موضعاً، وجاء فعل أمر في **ثلاثة مواضع**، وجاء اسماً بتصريفات مختلفة في **مئة وخمسة وعشرين موضع**، ولم يذكر لفظ (الهداية) في القرآن.

والهادي من أسماء الله تعالى قال ابن الأثير: "هو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق إلى ما لابد منه في بقائه ودوام وجوده." [25]

والراغب يقول [26]: الهدى والهداية في موضوع اللّغة واحد، لكن قد خصّ الله عزّ وجلّ لفظة الهدى بما تولّاه وأعطاه واختصّ هو به دون ما هو إلى الإنسان نحو قوله تعالى ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [27] والاهْتِدَاءُ يختصّ بما يتحرّاه الإنسان على طريق الاختيار، إمّا في الأمور الدّنيويّة، أو الأخرويّة قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها﴾. [28]

---

[18] جمهرة اللغة (1/ 147)، تهذيب اللغة: الأزهري (319/11).

[19] لسان العرب (11/ 391).

[20] العين (7/ 8) المحيط في اللغة (2/ 189) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (5/ 1748) المحكم والمحيط الأعظم، (153/8)، القاموس المحيط: الفيروز أبادي (1024).

[21] أساس البلاغة (1/ 585) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (5/ 1749) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (6/ 3904) الكليات (ص: 576).

[22] لسان العرب (11/ 391)

[23] الكليات (ص: 576)

[24] معجم كلمات القرآن الكريم، محمد زكي محمد خضر (28/ 3)

[25] النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، (253/5) لسان العرب (15/ 353)

[26] المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني، (ص: 839) بصائر ذوي التمييز (5/ 314)

[27] [البقرة: 2]

[28] [الأنعام: 97]

أما القرطبيّ فيقول: "الْهُدَى هديان: هدى دلالة، وهو الَّذي تقدر عليه الرُّسل وأتباعهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [29] فأَثبت لَهم الهدى الَّذي معناه الدَّلالة وَالدَّعوة والتنبيه، وتفرد هو سبحانه بالهدى الذي معناه التأييد والتوفيق، فقال لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [30] فالهدى على هذا يجئ بمعنى خلق الإيمان في القلب. [31]

وعند ابن قتيبة: أصل هدى أرشد وقوله: ﴿وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ﴾ [32] أي أرشدنا، ثم يصير الإرشاد بمعان، كالبيان والدعوة إلى الدين ومنها إرشاد بالدعاء، وإرشاد بالإلهام، وإرشاد بالإمضاء. [33]

وقال ابن كثير: الهداية: الإرشاد والتّوفيق، وقد تعدّى الهداية بنفسها كما في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [34] فتضمّن معنى ألهمنا أو وفّقنا أو ارزقنا أو أعطنا. و﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [35] أي بيّنّا له الخير والشّرّ. وقد تعدّى بـ(إلى) كما في قوله تعالى: ﴿اجْتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [36] وذلك بمعنى الإرشاد والدّلالة. وقد تعدّى باللّام كقول أهل الجنّة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا﴾ [37] أي وفّقنا وجعلنا له أهلا. [38]

وقال ابن القيّم: " الهداية: هي البيان والدّلالة، ثمّ التّوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدّلالة. ولا سبيل إلى البيان والدّلالة إلّا من جهة الرّسل."[39] **وجمع يحيى بن سلّام في تفسير لفظ «الهدى» وما اشتقّ منه سبعة عشر وجهاً نذكر منها:**

الوجه الأوّل: هدى يعني دين الإسلام وذلك قوله ﴿إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾ [40] يعني على دين مستقيم حقّ وهو الإسلام. وقال في آل عمران ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ﴾ [41] يعني: إنّ الدّين دين الله وهو الإسلام، وفي قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى﴾ [42] يعني التّوحيد وَدِين الْحَقّ يعني الإسلام، وهو الحقّ ونحوه كثير.

الوجه الثّاني: هدى يعني الإيمان والتّوحيد وذلك قوله: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً﴾ [43] يعني يزيدهم إيماناً. وقوله ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا﴾ [44] يعني عن الإيمان وفي سورة سبأ: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى﴾ [45] **يعنى التّوحيد** وهو الإيمان.

---

[29] [الشورى: 52]

[30] [القصص: 56]

[31] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت 671هـ)، (1/ 160)

[32] [ص: 22]

[33] تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، (ص248)

[34] [الفاتحة: 6]

[35] [البلد: 10]

[36] [النحل: 121]

[37] [الأعراف: 43]

[38] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ (8/ 3569) الكليات للكفوي، (ص953).

[39] تفسير القرآن الكريم: ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، (ص 13)

[40] [الحج: 67]

[41] [آل عمران: 73]

[42] [الفتح: 28]

[43] [مريم: 76].

[44] [القصص: 57].

[45] [سبأ: 32].

الوجه الثّالث: هدى يعنى رشداً وذلك قوله: ﴿عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي﴾ [46] أي: أن يرشدني سواء السّبيل، وقول الله تعالى: ﴿وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ﴾ [47] يعني أرشدنا.

الوجه الرابع: هدى يعني معرفة وذلك قوله: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [48] يعني يعرفون الطرق، وفي سورة طه ﴿ثُمَّ اهْتَدى﴾ [49]، ثمّ عرف الصّواب. وفي سورة الأنبياء: ﴿فِجاجاً سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يهتدون﴾ [50] يعني لعلّهم يعرفون الطّريق.

الوجه الخامس: هدى يعني أمراً ويعني النبوة وذلك لقوله سبحانه في الّذين كفروا: ﴿مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ [51] يعني أمر محمّد أنّه رسول الله وقامت عليهم الحجّة بالنّبيّ والقرآن. وفي سورة البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى﴾ [52] يعني أمر محمّد أنّه رسول الله. وقال قتادة: وكتموا الإسلام، وكتموا محمّداً وهم يجدونه مكتوباً عندهم.

الوجه السّادس: هدى يعني رسلاً وكتباً. وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً﴾ [53] يعني رسلاً وكتباً، وفي سورة طه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ﴾ يعني رسلي وكتبي ﴿فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقى﴾ [54].

الوجه السابع: هدى يعني القرآن، وذلك قوله في النّجم ﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى﴾ [55] يعني القرآن فيه بيان كلّ شيء، وفي سورة الكهف ﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى﴾ [56] يعني القرآن.

الوجه الثامن: هدى يعني التّوراة، وذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى﴾ [57] يعني التّوراة. وفي الم السّجدة: ﴿وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾ [58] يعني التّوراة.

الوجه التاسع: هدى يعني التّوفيق، وذلك قوله في البقرة: ﴿أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [59] إلى الاسترجاع والصّبر، يعني هم الموفّقون. وفي التّغابن ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [60]يعني يوفّق قلبه إلى الاسترجاع عند المصيبة ويسلّم ويرضى ويعرف أنّها من الله.

الوجه العاشر: هدى يعني إقامة الحجّة. وذلك قوله في البقرة: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [61] المشركين، لا يهديهم إلى الحجّة ولا يهديهم من الضّلالة إلى دينه.

---

[46] [القصص: 22].
[47] [ص: 22].
[48] [النحل: 16].
[49] [طه: 82].
[50] [الأنبياء: 31].
[51] [محمد: 25].
[52] [البقرة: 159].
[53] [البقرة: 38]
[54] (طه: 123)
[55] (النجم: 23)
[56] (الكهف: 55)
[57] (غافر: 53)
[58] [السجدة: 23]
[59] [البقرة: 157]
[60] [التغابن: 11]
[61] [البقرة: 258]

الوجه الحادي عشر: هدى يعني سنّة، وذلك قوله ﴿وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مهتدون﴾ [62] يعني مستنون سنّتهم في الكفر. وفي الأنعام يقول للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [63] يعني بسنّتهم التّوحيد «اقتده» يعني استنّ بها.

الوجه الثّاني عشر: هدى يعني التّوبة، وذلك قوله في الأعراف ﴿إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ﴾ تفسير مجاهد وقتادة: إنّا تبنا إليك.

الوجه الثّالث عشر: يهدي يصلح، وذلك قوله في سورة يوسف ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخائِنِينَ﴾ [64] يعني لا يصلح عمل الزّناة.

الوجه الرّابع عشر: هدى يعني الإلهام، وذلك قوله ﴿الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾ [65] يعني ألهمه لمرعاه، فمنها ما يأكل النّبت، ومنها ما يأكل الحبّ، ومنها ما يأكل اللّحم. وقوله (خلقه) يعني صورته الّتي تصلح له. قال: ثُمَّ هَدى يعني ألهمه كيف يأتي معيشته ومرعاه وذلك قوله في سورة الأعلى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدى﴾ [66] يعني قدّر الخلق، الذّكر والأنثى، فهدى يعني ألهم كيف يأتيها وتأتيه. [67] وعند العسكري معنى هدى: أنه أراد إلهام المعاش لمن يلهم ذلك وإعلامه من يعلم، أنه هدى المكلفين أي: بينه لهم. [68]

يقول البيضاوي [69]: وهداية الله تتنوَّعُ أنواعاً لا يحصيها عد لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحصُوهَا﴾ [70] فالاهتداء درجة عليا في سلم الكمال، لأنه عنوان للكثير من الأعمال الصالحة، ولهذا كان الطلب الذي يطلبه المسلم في كل صلاة، وهذا يدل على أهمية هذا الأمر، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [71] تعظيم لشأن الاهتداء، وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها. [72] ألا وهي المعرفة القلبية الحقة.

الهدى: لغة التقدم للدلالة والإرشاد وتوسعت المساحة الدلالية في القرآن الكريم لتضم كل دلالة هداية إذا أضيف لغير الله، فمن المعاني: الداعي يعنى نبيّاً ورسلاً، والكتب والقرآن والتوراة والمعرفة والتّوفيق، والتّوحيد يعني الإسلام ودِين الحَقّ، والسنة النبوية، والتّوبة والإلهام، كما أنه استعمل اللفظ بإضافة (سنن الله) و(هدى الله)، وبمعنى خلق الإيمان في القلب إذا أضيف لله تعالى، وهذا التوارد المتنوع لهذا اللفظ يُنبئ بأهميته المحورية في القرآن الكريم.

2-الضلال في الاستعمال القرآني:

كما وردت مادة (ضل) في القرآن الكريم **مئة وإحدى وتسعون** مرة، أي أقل بكثير من جذر(هدى)، وردت بصيغة الفعل الماضي **ثمان وخمسون** مرة، وبصيغة الفعل المضارع **تسع وخمسون** مرة، وبالمصدر **ثمان وأربعون** مرة، وباسم الفاعل **سبع عشرة** مرة، وصيغة أفعل (التفضيل) **تسع** مرات.

ويقول الراغب الأصفهاني: والإضلال ضربان: **أحدهما:** أن يكون سببه الضلال، وذلك على وجهين: إما بأن يضل عنك الشيء كقولك: أضللت البعير، أي: ضل عني، وإما أن تحكم بضلاله، والضلال في هذين سبب الإضلال.

---

[62] [الزخرف: 22]

[63] [الأنعام: 90]

[64] [يوسف: 52]

[65] [طه: 50]

[66] [الأعلى: 3]

[67] ينظر: التصاريف لتفسير القرآن: يحيى بن سلام، (ت200هـ)، (ص: 96- 103) الوجوه والنظائر: مقاتل بن سليمان البلخي، (ص11). الوجوه والنظائر: الدامغاني، (ص458). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: 626). الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص 499).

[68] الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص499)

[69] أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي (1/ 30) و(3/ 43).

[70] [إبراهيم: 34].

[71] [الأعراف: 97].

[72] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي (3/ 43).

والضرب الثاني: أن يكون الإضلال سبباً للضلال، وهو أن **يُزين للإنسان الباطل** ليضل كقوله: ﴿هَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ [73] أي يتحرون أفعالاً يقصدون بها أن تضل، فلا يحصل من فعلهم ذلك إلا ما فيه ضلال أنفسهم. [74]

وَذكر أهل التَّفْسِير أَن الضلال فِي الْقُرْآن على عشرَة أوجه نذكر منها:

الأول: بمعنى الضلال في الدين الذي هو ضد الهداية والإرشاد، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. [75] كما جاء بمعنى البطلان والجهل والشَّقَاء، وبمعنى النِّسْيان والْخَطأ.

وَالثَّانِي: فيكون بمعنى الاندثار والتفرق والضياع والهلاك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [76] أي في هلاك. وبمعنى الاندثار والتفرق كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [77] أي تفرقت أجزاؤنا وضاعت. وضل الرجل: مات وصار ترابا فضل فلم يتبين شيء من خلقه. وأضللته: دفنته. [78] **وَالثَّالِث: بمعنى الإغواء عن الحق:** كقوله تعالى حكاية: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [79] وقال: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ [80] فهذا هو الإضلال عن الحق، والحمل على الضلال والدخول فيه.

وَالرَّابِع: الشَّقَاء: وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [81] وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [82]. [83]

وَالْخَامِس: بمعنى البطلان: كقوله تعالى ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [84] وقال: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [85] أي لا يبطلها.

وَالسَّادِس: بمعنى النِّسْيان. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [86] أَي تَغِيب عَنْ حِفْظها أَو يَغيب حِفْظها عَنْهَا. [87] وضللت الشَّيْء: أنسيته وَكَذَلِكَ فسر: ﴿وَأَنا من الضَّالّين﴾: أَي من الناسين. [88] وَبمعنى الْخَطأ: ﴿إِن أَبَانَا لفي ضلال﴾

والسابع: الضلال الَّذِي هُوَ ضد الْهدى. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ . [89]

---

[73] [النساء: 113]

[74] المفردات في غريب القرآن (ص511) الكليات (ص: 577) الوجوه والنظائر: الدامغاني (ص310– 312) بصائر ذوي التمييز: الفيروز أبادي (3/481– 485)

[75] [فاطر: 8]

[76] [القمر: 47]

[77] [السجدة: 10]

[78] لسان العرب (11/ 391–395)

[79] [الأحزاب: 67]

[80] [الفرقان: 29]

[81] [سبأ: 8]

[82] [القمر: 24]

[83] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص 407–408) لسان العرب (11/ 391)

[84] [محمد: 1]

[85] [محمد: 4]

[86] [البقرة: 282]

[87] لسان العرب (11/ 391)

[88] جمهرة اللغة (1/ 147)

وَالثَّامِن: بمعنى الوجدان" فيقال أضللت الرجل أي وجدته ضالاً، كما قالوا أجبنته أي وجدته جباناً، وأبخلته إذا وجدته بخيلاً. [90]
والعاشر: بمعنى الحكم والتسمية: فيقال أضله فلان أي سماه ضالاً، وتضليل الرجل أن تنسبه إلى الضلال. [91]

ثالثاً: مصطلح الهدى وروده في السنة النبوية:

جاءت الهداية بمعنى الدلالة والهداية وهداية الطريق، منه أَنه رسول الله ﷺ قَالَ لِعَلِيّ: **«سَلِ اللهَ الهُدَى»** وَفِي رِوَايَةٍ: **«قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وسَدِّدْنِي وَاذْكُرْ بالهُدَى هِدايَتك الطريقَ وبالسَّدادِ تَسْدِيدَك السَّهْمَ»** [92] وَالْمَعْنَى إِذا سأَلتَ اللَّهَ الهُدَى فأَخْطِر بقَلْبك هِدايةَ الطَّرِيق وسَلِ اللَّهَ الْاسْتِقَامَةَ فِيهِ كَمَا تتَحَرَّاه فِي سُلوك الطَّرِيقِ.

وفي حيث الرسول ﷺ: **«سُنَّة الخُلفاء الرَّاشِدِين المَهْدِيّينَ»** [93]، المَهْدِيُّ: الَّذِي قَدْ هَداه اللَّهُ إِلى الْحَقّ.

وَفِي الْحَدِيثِ: **«من هدى زقاقاً كان له مثل عتق رقبة»** [94] فهو من هداية الطريق: أي من عرف ضالاً أو ضريراً طريقه.

ومنه حديث الرسول ﷺ: **«طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع».** [95]

أي: من عرف طريق الإسلام واهتدى إلى الطريق القويم.

ويتبين أن لفظ الهدى مصطلح ديني يتفق مع المعاني اللغوية السابقة فقد جاء في القرآن والسنة بعدة معان تتوافق مع المعاني اللغوية فاستعملت استعمالاً محسوساً كهداية الطريق واستعمالاً مجرداً كالهداية القلبية فتوسَع المعنى الدلالي إلى الدلالة والإرشاد والبيان والدعوة، وانفرد القرآن بمعنى التوفيق الذي هو بمعنى خلق الاهتداء والإيمان في القلب، وبمعنى الخلق والإلهام، وبمعنى الدلالة الحسية إلى طريق الجنة أو النار.

وكذلك مصطلح الضلال جاء في عدة معان تتوافق مع المعاني اللغوية، والقرينة وسياق الكلام هما اللذان يحددان معني هذه الكلمة وتكون بحسب موقع اللفظة من العبارة التي ورد فيها وهي الضياع والهلاك، والغواية والوجدان والحكم وبمعنى دفن وتفرق واندثر ونسي وأبطل، وذلك لأن كل حالة من هذه الحالات تعتبر ضلالاً، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [96]

رابعاً: الهدى والضلال اصطلاحاً:

1-الهدى:

الهداية عند الجرجاني: هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب (97) وقال الكفويّ: الْهِدَايَة هِيَ عند أهل الحق الدّلالَة على طريق من شأنه الإيصال سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أَو لم

---

[89] [البقرة: 26]

[90] لسان العرب (11/ 395)

[91] أساس البلاغة: الزمخشري. (ص371). لسان العرب (11/ 395) الوجوه والنظائر: العسكري (ص: 300)، بصائر ذوي التمييز: الفيروز أبادي (3/481- 485)

[92] صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (2725)، (4/ 2085)

[93] سنن الترمذي، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع رقم (2676)، (5/ 44).

[94] النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (ت 606هـ)، (5/ 254).

[95] سنن الترمذي أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه رقم (2349) وقال: حديث حسن صحيح.

[96] [الأنعام: 153]

[97] التعريفات للكفوي، (ص256)

يحصل [98] وعند صاحب الْكَشَّاف:" لَا بُد من الإيصال الْبَتَّةَ لِأَن الضَّلَالَة تقَابلهَا، فَلَو كَانَت الْهِدَايَة مُجَرّد الدّلَالَة لأمكن اجْتِمَاعهمَا بالضلالة الَّتِي هِيَ فقدان الْمَطْلُوب."[99]

وقد اهتم علماء الكلام بموضوع الهدى وانتهوا إلى أنه مراتب ومن خلال هذه المراتب تتجلى المعاني اللغوية لكلمة (هدى)، حيث **يقول الراغب الأصفهاني:** هداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

الأوّل: الهداية التي عمّ بجنسها كلّ مكلّف من العقل، والفطنة، والمعارف الضّروريّة التي أعمّ منها كلّ شيء بقدر فيه كما قال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾ [100]

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إيّاهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾ [101]

الثالث: التّوفيق الذي يختصّ به من اهتدى، وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً﴾ [102] وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [103]

الرّابع: الهداية في الآخرة إلى الجنّة المعنيّ بقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ﴾ [104]

وهذه الهدايات الأربع مترتّبة، فإنّ من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثّانية وهكذا.. والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلّا بالدّعاء وتعريف الطّرق دون سائر أنواع الهدايات.

والهدى المراد في هذه الدراسة هو المذكور في المرتبة الثانية والثالثة التي تتعلق بالبيان والدلالة والدعوة، وخلق الاهتداء؛ لأنه يتعلق بأفعال الله وفعل العبد، فالله هو الهادي والعبد المهتدي.[105] وقوله: ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ [106] أي: أن طالب الهدى ومتحريه هو الذي يوفقه ويهديه إلى طريق الجنة لا من ضاده، فيتحرى طريق الضلال والكفر كقوله: ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [107].

2- الضلال اصطلاحاً:

والضَّلَالُ عند الراغب: هو العدولُ عن الطّريق المستقيم، ويضادّه الهداية، ويقال الضَّلَالُ لكلّ عدولٍ عن المنهج، عمداً كان أو سهواً يَسِيراً كَانَ أَو كثيرا، فَإِن الطَّرِيق المرتضى صَعب جداً، ويسْتَعْمل الضلال فِيمَن يكون مِنْهُ خطأ مَا، وَلذَلِك نسب إِلَى الْأَنْبِيَاء وَالْكفَّار، وَإِن كَانَ بَين الضلالين بون بعيد. [108]

---

[98] الكليات (ص953)

[99] كشاف اصطلاحات الفنون، (6/1540- 1541).

[100] [طه: 50]

[101] [الأنبياء: 73].

[102] [محمد: 17]

[103] [التغابن: 11]

[104] [محمد: 5]

(105) المفردات في غريب القرآن . للراغب (ص: 835-837) الكليات (ص954).

(106) [الإسراء: 97]

(107) [التوبة: 37]

(108) المفردات في غريب القرآن (ص: 509).

ويستدل على قوله: "ألا ترى أنه قال في النّبي ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى﴾ [109] أي غير مهتد لما سيق إليك من النّبوّة. وقال في يعقوب: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [110] وقال أولاده: ﴿إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [111] إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه. [112] وورد في تعريفات الجرجاني والمناوي والكفوي عن الضلال بأنه:" فقدان ما يوصل إلى المطلوب"، ويضيف المناوي وقيل: هي سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب. [113]

وعند المعتزلة: كل ما نسبه الله إلى نفسه من الضلال فسبيله التسمية والحكم، أو الضلال عن الثواب، ودليل هذا قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [114]، وقال: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ [115] وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ فالفتنة؛ المحنة والابتلاء. [116] **وعرفه السيوطي** بأنه: "اعتقاد الباطل حقًا، أو الكذب صدقًا، أو القبح جميلًا، وبالعكس". [117]

وبالنظر إلى التعريفات السابقة لمصطلح الضلال يتبين أن التعريف الأخير هو الراجح؛ لموافقته المعنى اللغوي من جهة، ولتضمنه على الاعتقاد المؤدي إلى السلوك، ولاشتماله على جميع المعاني المتفرعة من مادة ضل في القرآن الكريم من جهة أخرى كما سنرى.

المبحث الثاني: مصطلح الهدى والضلال عند الأشاعرة:

حصل خلاف في تحديد مفهوم الهداية بين الفرق وذلك بسبب الموقف من أفعال العباد، وصفة الإرادة، حيث يذهب الأشاعرة أن الهداية والإضلال للعبد من الله تعالى، فهداية الله للمؤمنين بخلق هداهم وشرح صدورهم وتوفيقهم وإعانتهم، وإضلاله للكافرين بخلق الضلالة فيهم وترك توفيقهم وإعدام قدرهم على الاهتداء وخذلانهم، ولنا أن ننتبه إلى قيد (هداية المؤمنين) (وإضلال الكافرين) هل هي ابتداء أم بناء على فعلهم.

أولاً– مفهوم الهدى:

هناك بعض التعريفات عند الأشاعرة بناء على مذهبهم بإطلاق القدرة والمشيئة الإلهية

الأشعري يذكر كلاماً يسنده إلى أصحاب الحديث وأهل السنة يقول:" إن الله سبحانه وفق المؤمنين لطاعته وخذل الكافرين، ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم، ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين." [118] ونجده في الإبانة يوافقهم على هذا القول:" إن الله اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يعط الكافرين، وفضل عليهم المؤمنين."

---

[109] [الضحى: 7]

[110] [يوسف: 95]

[111] [يوسف: 8]

[112] المفردات في غريب القرآن: للراغب (ص: 510)

[113] التعريفات (ص: 138). التوقيف: المناوي، (223)، الكليات: الكفوي، (ص: 577)

[114] [البقرة: 26]

[115] [إبراهيم: 27]

[116] أساس البلاغة: الزمخشري. (ص371)، لسان العرب (11/ 395) الوجوه والنظائر: لأبي هلال العسكري (ص: 300)

[117] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: السيوطي (ت 911هـ)، (ص: 202)

[118] مقالات الإسلاميين: الأشعري (ص: 291– 292)

ويقول في الإبانة: "وللمتفضل إذا أمر بالإيمان أن يرفع التفضل ولا يتفضل به فيأمرهم بالإيمان، وإن خذلهم لم يعط قدرة على الإيمان، وهذا قولنا ومذهبنا." [119] فهداية الله للعبد ليست استحقاقاً واجباً للعبد على فعله، وإنما هي فضل من الله تعالى بمشيئته.

وفي مكان أخر يقول: "قال أهل الإثبات: لو هدى الله الكافرين لاهتدوا فلما لم يهدهم لم يهتدوا وقد يهديهم بأن يقويهم على الهدى فتسمى **القدرة على الهدى** هدى وقد يهديهم بأن **يخلق هداهم**." [120]

وعن معاني الهدى ينقل ابن فورك عن الأشعري أنه كان يقول: الهداية قد تكون بمعنى الدعاء والبيان، ويتأول على قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [121] على معنى بينا لهم، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [122] على معنى الدعاء والبيان. هذا إذا أضيف اللفظ إلى غير الله تعالى فهو بمعناه اللغوي.

وإذا نسبت الهداية إلى الله فتكون هدايته للمؤمنين بأن خلق في قلوبهم الإيمان بالله عزوجل والمعرفة به وتلك الهداية هي المقصودة في قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [123].

ومذهب الإمام الأشعري في هذه الأوصاف والتسميات، إذا أجريت على المحدث من اكتسابه وأحواله تحمل على اللغة، وإذا أجريت على القديم فعلى التوقيف.

وكذلك مصطلحات الختم والطبع وجعل الأقفال والأكنة على القلوب، إلا أن جميع ذلك بمعنى خلق الجهل والكفر، وأما شرح الصدر بالإسلام فهو خلق المعرفة، ونور الإيمان على معنى تحقيق المعرفة به حتى يتبصر في طريق الحق. [124]

وهذا ما يبدو لدى عامة الأئمة الأشاعرة من تفصيل وتوضيح لهذا المفهوم لأهميته.

فابن فورك يعرف حد الهداية بقوله: "هي معرفة بالقلب وتصديقه بوجوب كل واجب، والإخبار عن ذلك يسمى هدى مجازاً واتساعاً، وكذلك فقد تسمى الدعوة إلى الشيء لمن قبلها دون من لم يقبلها." [125] فدعوة الرسول ﷺ إلى الإيمان إنما يكون هداية لمن قبلها دون من لم يقبلها، وكذلك دعاء إبليس إلى الكفر والضلال يكون إضلالاً لمن قبله دون من لم يقبله، وذلك يرجع إلى الدعوتين المتعلقتين بالطاعة والمعصية.

ويستدلون بآيات القرآن الكريم يقول الجويني: إن كتاب الله اشتمل على آي دالة على تفرد الله تعالى بهداية الخلق وإضلالهم، والطبع على قلوب الكفرة منهم، وهي نصوص لإبطال مذاهب مخالفي أهل الحق، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [126] وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [127]

والهدى في هذه الآية لا يتجه حمله إلا على خلق الإيمان، وكذلك لا يتجه حمل الإضلال على غير خلق الضلال. [128] لكن قد ترد الهداية ويراد بها الدعوة والإرشاد.

---

[119] وينظر الإبانة: الأشعري، ص (134- 135)

[120] مقالات الإسلاميين: الأشعري، (ص: 260).

[121] [فصلت: 17]

[122] [الشورى: 52]

[123] [الأنعام: 125]

[124] مجرد مقالات الأشعري: ابن فورك، (ت406هـ)، (ص112).

[125] الحدود في الأصول: ابن فورك، ص112. الانتصار للقرآن: الباقلاني، (2/ 650). مقالات الأشعري: ابن فورك، (ص103)

[126] [يونس: 25]

[127] [الكهف: 17]

فعامة الأشاعرة ومعهم الجويني لا ينكرون ورود الهدى والضلال على غير معنى الخلق، **والدليل:** أن الله تعالى فصل بين الدعوى والهداية، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [129] فخصص الهداية وعمم الدعوة، وهذا مقتضى ما استدللنا عليه من الآيات، ولا وجه لحملها على الإرشاد إلى طريق الجنان، فإن الله تعالى علق الهداية على مشيئته وإرادته واختياره. وكل مستوجب الجنان، فحتم على الله عند المعتزلة أن يدخله الجنة. [130] وهذا الحتم مرفوض ولا يجوزه الأشاعرة.

ونجد الباقلاني يقول عن معنى هداية الله للمؤمنين بأنها:

1- قد تكونُ الهدايةُ بمعنى الدعاء إلى الشيء، ولا تُسمى الدعوةُ إلى الحق هدايةً إليه إلا لمن قَبِلَها وانتفع بها.

2-وقد تكونُ الهدايةُ بمعنى التوفيقِ وشرح الصدر وتسهيلِ القولِ الحقِّ، وهيَ الهدايةُ الحقيقية المقصودَة بقوله:﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[131] أي: إنك لا توفقُ من أحببت، ولم يرد أنك لا تأمره بالهدى وتدعوه إليه، وهي المرادُ بقوله: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾[132]، والمعتمد في الهداية الرغبة إلى الله، لأن الدعوةَ قد حصلت لكل، ولأنه قد ضل كثيرٌ ممن دعيَ إلى الحق، فدلَّ ذلك على أن الهدى المرغوب فيه والذي لا يضلُّ صاحِبُه هو الإرشاد من الله وخلقُ الهُدى في القلوب وشرحُ الصدورِ وتوسعَتِها وفعلُ الألطافِ الجامعةِ لهم على فعل الطاعات.

3-وتكونُ الهدايةُ إلى الشيء بمعنى التقديم إليه، ومنه قولهم: قد أقبلت هوادي الخيل أي: مقدماتُها. [133] فالهدايةَ التي أضافَها اللهُ تعالى إلى نفسِه هي شرحُ الصدورِ وتطهيرُ القلوب، وخلقُ الإيمان والتصديقِ والهدايةَ التي أضافها إليهم إنما هي الدعوةُ والتزيينُ والإرشادُ والتنبيهُ والترغيبُ والتحذيرُ، أي أنها مضافة إليه تعالى من جهة الخلق والاختراع. ومضافة إليهم من جهة التصرف والاكتساب، لقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [134] فالمراد من الهداية خلق المعرفة. [135]

وعلى هذا يقول الآمدي: الهداية عند أئمتنا حقيقة في خلق الهدى، وهو الإيمان، ومجاز فيما سواه، والهداية عند بعض الأصحاب مشتركة بين المعنيين حقيقة، والاعتماد على القول الأول. [136]

وذهبت المعتزلة: إلى أن الهداية والإضلال، حقيقة فيما سوى الخلق.

يتفق الأشاعرة مع المعتزلة على صحة إطلاق لفظ الهداية والإضلال بالمعاني اللغوية المذكورة والخلاف هل هو حقيقة؟ أو بطريق المجاز.؟ وبناء على الأصل أن الفعل خلقاً من الله وكسباً من العبد، فالهدى والضلال خلقاً من الله وكسباً من العبد لا بمعنى الإجبار.

ثانياً: الضلال عند الأشاعرة:

لم يذكر الأشعري تعريفاً واضحاً للضلال في الإبانة واللمع وإنما ذكر كلاماً عاماً عن التوفيق واللطف والخذلان.

---

[128] الإرشاد: الجويني، (ص 211).

[129] [يونس: 25]

[130] الإرشاد: الجويني، (ص 211).

[131] [القصص: 56]

[132] [الزمر: 73]

[133] الانتصار للقرآن للباقلاني (2/ 638- 643) وينظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: الباقلاني، (ص277).

[134] [البقرة: 16]

[135] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (8/ 284)

[136] أبكار الأفكار: الآمدي (2/ 193- 197). أصول الدين: البغدادي، (ص 161).

ويقول الأشعري نقلاً عن أهل السنة:" قال بعض أهل الإثبات: الإضلال عن الدين **قوة** على الكفر، وقال بعضهم: الإضلال عن الدين هو **الترك** وقال بعضهم: معنى أضلهم أي **خلق** ضلالهم، [137]

قريباً من هذه المعاني وبتوضيح أدق، وجمعاً بين هذه الأقاويل التي تبدو في تعريفات الإمام ينقل عنه ابن فورك: "الإضلال هو **خلق الضلال في قلوب الضالين** من الجهل بالله تعالى والكفر لنعمه والإنكار لآلائه، **ولذلك قرنهما بالقلب والصدر**."[138] وذلك بناء على مذهبه، أن الله تعالى هو الخالق لجميع المخلوقات، والمحدث لجميع المحدثات، خيرها وشرها، طاعتها ومعصيتها، ودليله السمع والخبر، والذي دلت عليه دلائل العقول أيضاً، ويرى الباقلاني في التمهيد الإضلال **قد يكون** بأن يخلق ضلالهم قبيحاً فاسداً، **وقد يكون** بإعدام قدرهم على الاهتداء، **وقد يكون** بترك توفيقهم وتضييق صدورهم، **وقد يضلهم** عن الثواب وطريق الجنة في الآخرة كل ذلك إضلالا لهم.[139] ولا ينكرون المعاني اللغوية **(بمعنى وجدته ضالاً)**؛ لأن لفظة أفعل مستعملة على معان مختلفة وليس الاقتصار على بعضها بأولى من بعض، **وهذا لا ينفي قولهم أن الله خلق الضلال فيه.**[140]

ويؤكد الرازي:" بأن التخلية وترك المنع فهذا إنما يسمى إضلالا"[141] ويذكر من أسماء الإضلالُ الحقيقي: " إغواءٌ وتزيينٌ للباطل وتقبيحُ الحق..وقولنا ختَم وطبعَ وغشاوة وصمٌ وعُميٌ وسدًّا إنَّما هو عبارة عن هذا الاسم من المفعول في القلوب والمضاد لاعتقاد الحق والصواب. واللهُ هو المنفردُ بخلقِ ذلك في قسمه لنا به، وعدلٌ عليه في حُكْمِه وقضائِه.

ولم يخرج الرازي عن رؤية من سبقه من الأئمة إلا أنه وضح ما سبق أكثر حيث حدد مفهوم الضلالة بقوله: "الضلالة الجور والخروج عن القصد وفقد الاهتداء، فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين." [142] ويفرق الرازي بين الضلال والغواية: أن " المراد من الضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلاً". [143]

ثالثاً: معنى نسبة الهدى والضلال إلى الله:

يرد الرازي: القول **(أضله الله)** لا يمكن حمله إلا على وجهين: أحدهما: أنه صيره ضالاً، والثاني: أنه وجده ضالاً، أما التقدير الأول **ففيه وجهان:**

أحدهما: أنه صيره ضالا عن الدين، فاعلم أن معنى الإضلال عن الدين في اللغة هو الدعاء إلى ترك الدين وتقبيحه في عينه وهذا هو الإضلال الذي أضافه الله تعالى إلى إبليس فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ **(144)**، وأيضا أضاف الله تعالى هذا الإضلال إلى فرعون فقال: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَما هَدى﴾ [145] والإضلال بهذا المعنى لا يجوز على الله تعالى لأنه تعالى ما دعا إلى الكفر وما رغب فيه بل نهى عنه وزجر وتوعد بالعقاب عليه، وهذا المعنى منفي بالإجماع، وأنه لا يجوز إجراء هذا اللفظ على ظاهره.

(137) مقالات الإسلاميين: الأشعري، (ص: 262).
(138) مقالات أبي الحسن الأشعري: ابن فورك، (ص104-105).
(139) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: الباقلاني، (ص377).
(140) مقالات أبي الحسن الأشعري: ابن فورك، (ص105).
(141) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (2/ 371)
(142) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (2/ 311) الانتصار للباقلاني (2/ 637- 650)
(143) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (28/ 234)
(144) [الْقَصَص: 15]
(145) [طه: 79]

وأما الثاني: وهو أنه يضله عن طريق الجنة فضعيف. [146]

وليتضح المفهوم الذي يؤكده الأشاعرة ننقل قول الأشعري عن المعتزلة، الفرقة المخالفة للأشعرية فالمعتزلة يرون الإنسان خالقاً لأفعاله؛ فالهداية هي فعل الإنسان وهي سلوك طريق الإيمان، بناء على "أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها" [147] ويقول القاضي في المغني: "واعلم أن الهدى بمعنى الدلالة كثير في الكتاب، قال الله تعالى في وصف القرآن: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ **[148]** ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [149] ولا يجوز أن يراد بذلك إلا كونه دلالة وبياناً. " [150] ورد الآيات التي تشير إلى هداية الله للإنسان إلى المتشابه من القرآن وتأويله، وأن الهداية بمعنى الإرشاد والدعاء وإبانة الحق وليس إليه من هداية القلوب شيء. [151]

وميز الإمام الأشعري في مفهوم الضلال كما في مفهوم الهدى، فمن جهة لم ينكر الإمام المعنى اللغوي للفظ إذا أضيف إلى العبد، ومن جهة لا ينفي ذلك أن خلق الإضلال بقدرة الله ومشيئته إذا أضيف إلى الله تعالى، حيث نظر الأشاعرة إلى مذهبهم بقدرة الله ومشيئته وإرادته المطلقة، "وقد أخبر الله أنه يضل ويهدي ووصف نفسه بذلك، فمن أضله فبعدله ومن هداه فبفضله".[152] فبعدله من حيث أن الله خالق كل شيء وأن الله فعال لما يريد، وأن إضلالهم كان نتيجة لتركهم العمل وعدم اتباع الأدلة والدعوة ولو عملوا بها لأفاض عليهم من التوفيق لقوله تعالى ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾[153] الهدى قد يكون لازماً بمعنى وجدان طريق توصل إلى المطلوب ويقابله الضلال أي فقدان الطريق الموصل، وقد يكون متعدياً بمعنى الدلالة على الطريق والإرشاد إليه ويقابله الإضلال بمعنى الدلالة على خلافه، وقد تستعمل الهداية في معنى الدعوة وبمعنى الإثابة، والإضلال في معنى الإضاعة والإهلاك، وقد يسندان مجازاً إلى الأسباب، وليس في هذا نزاع.

والخلاف فيما يدل على اتصاف الباري تعالى بالهداية والإضلال التفتازاني يقول: فعندنا بمعنى خلق الهدى والضلال لما ثبت أنه الخالق وحده، وعند المعتزلة، الهداية الدلالة الموصلة إلى البغية أو البيان لمعنى نصب الأدلة أو منح الألطاف، والإضلال الإهلاك والتعذيب أو التسمية، والتلقيب بالضال، أو منع الألطاف أو الإسناد مجازاً. [154]

فالأشاعرة يتفقون مع غيرهم في أن الهدى والضلال بمعنى نصب الأدلة والإرشاد والبيان. وينفون أن تكون هي الموصلة للبغية، وأن إضافة الهداية والإضلال إلى الله ليست إلا بطريق الحقيقة، وأن الهدى الواجب على النبي ﷺ هو الدلالة والإرشاد إلى الطريق الموصل سواء كانت موصلة أم لا وهو غير الهدى الذي ليس هو عليه، وإنما هو لله وحده.

---

(146) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (2/ 266) ينظر: أدلة الطرفين والرد عليهم، (2/ 266- 267)

(147) شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار، (ص332).

(148) [البقرة: 185]

(149) [يوسف: 111]، [النحل: 64]

(150) متشابه القرآن: القاضي عبد الجبار، ص (61/1).

(151) مفاتيح الغيب: الرازي، (3/ 541) مقالات الإسلاميين: الأشعري، (ص 261).

(152) أصول الدين: البغدادي، (ص 161).

(153) [محمد: 17]

(154) مقاصد: التفتازاني، (ص 229- 231)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (4/ 83) (2/ 365) (25/ 5).

رابعاً: قضية الهداية والإضلال بين الجبر والاختيار:

إضلال الله لعباده متعلق بسنن وقوانين وضعها الله تعالى، وفق إرادته ومشيئته. **يقول الرازي في تفسير الآية:**﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [155] أي أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله، والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب، فينتج أن متابعة الهوى توجب سوء العذاب.[156] ثم قال تعالى:﴿بما نسوا يوم الحساب﴾ يعني أن السبب الأول لحصول ذلك الضلال هو نسيان يوم الحساب، لأنه لو كان متذكراً ليوم الحساب لما أعرض عن إعداد الزاد ليوم المعاد، ولما صار مستغرقاً في هذه اللذات الفاسدة.[157] فمتابعة الهوى ونسيان يوم الحساب توجب الضلالة، لأن اتباع الهوى يؤدي إلى إلف هذه الحرمات مرة بعد مرة حتى تصبح عند فاعلها عادة لا يمكنه الانفكاك عنها، ويفسر قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا[125] قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [158] أنه تعالى إنما أنزل به هذا العمى جزاء على تركه اتباع الهدى والإعراض عن الله. [159]

وكذلك يفسر الرازي الإضلال بأنه خلق لله ولكنه عقابٌ للعبد على إصراره على فعل المعاصي:" فالله تعالى لا يضل إلا من استحق الضلالة، ولا يهدي إلا من استحق الهداية، ثم إنه توفيق من الله وفضله، ولذا يطلب الإنسان الهداية في كل صلاة، لأنها بخلق الله وتوفيقه، ولقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ومن يهد الله فما له من مضل﴾[160] فالمراد بالهدى الذي ضمن الله على اتباعه ذلك اتباع الأدلة، واتباعها لا يتكامل إلا بأن يستدل بها وبأن يعمل بها، ومن هذا حاله فقد ضمن الله تعالى له أن لا يضل ولا يشقى. [161] أي أن الهدى والإضلال بيد الله تعالى والمهتدي هو العبد، والله تعالى خالق للهدى في قلب العبد أو خالق للقدرة والداعية الموجبتين لها.

وبناء على ذلك الراغب الأصفهاني يقول: إِضْلَالُ اللهِ تعالى للإنسان على أحد وجهين:

-**أحدهما** أن يكون سببُهُ الضَّلَالَ، وهو أن يَضِلَّ الإنسانُ فيحكم الله عليه بذلك في الدّنيا، ويعدل به عن طريق الجنّة إلى النار في الآخرة، وذلك إِضْلَالٌ هو حقٌّ وعدلٌ.

-**والثاني** من إِضْلَالِ اللهِ: هو أنّ الله تعالى وضع جبلّة الإنسان على هيئة إذا راعى طريقاً، محموداً كان أو مذموماً، ألفه واستطابه ولزمه، وتعذّر صرفه وانصرافه عنه، ويصير ذلك كالطّبع الذي يأبى على الناقل، وهذه القوّة في الإنسان فعل إلهيّ. [162] وعلى هذا النّحو يفسر تقليب الأفئدة والختم على القلب، وزيادة المرض الوارد ذكرهم في القرآن الكريم.

فالمراد من الهداية المعرفة والله تعالى هو الحكم العدل ولا يظلم الناس شيئاً، فمن اهتدى زاده هدى، ومن ضل فإنما يضل على نفسه، والله عز وجل قد نسب إلى نفسه إضلال الكافرين والفاسقين والظالمين، ولم ينسب ذلك إلى نفسه في حق المؤمنين

(155) [ص: 26]

(156) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (26/ 386).

(157) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (26/ 387)

(158) [طه: 125- 126]

(159) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (22/ 112)

(160) [الزمر: 36- 37]

(161) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (22/ 110)

(162) المفردات: الأصفهاني، (ص511- 512)، الكليات: الكفوي، (ص 577) بتصرف.

المهتدين، وكما أنه ليس للعصاة عذر في عدم الاهتداء، ولا حجة لهم على الله، فقد أعطاهم العقل المميز، ودلهم على الطريق المستقيم عن طريق رسله.

ويقول الإمام البوطي: "إن إرادتك المتعلقة بتصرفاتك الاختيارية منطوية تحت إرادة الله ولكن لا عن طريق القسر والإكراه.. وإنما عن طريق بث سر الإرادة والاختيار في كيانك." [163]وهذه الأفعال الاختيارية التي يحاسب عليها الإنسان إنما تندرج تحت نوعين متضادين للفعل الاختياري هما الكفر والإيمان، أو أفعال الهدى أو أفعال الضلال.. والإنسان عندما يختار أي فعل اختياري لا بد أن يختار أحد هذين النوعين، والتوفيق من الله ألا يكله الله إلى نفسه استقلالاً، والخذلان أن يخذله فيكله إلى نفسه وحوله وقوته وعن هذا كان التبري من الحول والقوة واجباً في كل حال.

خامساً: التوفيق والخذلان:

يستعمل الأشاعرة الهداية والتوفيق بمعاني متقاربة وكذلك الإضلال والخذلان وذلك بعلاقة بينهما عموم وخصوص فبينما يفسرون الهداية بخلق الهدى والاهتداء وهذا عام في الاهتداء إلى الإيمان، ويفسرون التوفيق بخلق القدرة الخاصة على الطاعة، ونقل عن إمام الحرمين أنه فسر التوفيق **بخلق الطاعة نفسها لا خلق القدرة عليها** حيث يرى أن القدرة لا تأثير لها، وأيضاً يفسرون الإضلال بمعنى خلق الضلالة فيهم أو عدم توفيقهم أو إعدام قدرهم على الاهتداء ويفسرون الخذلان بمعنى أخص منه بأنه خلق القدرة على المعصية، وهذا قول الإمام الأشعري وأكثر الأئمة من أصحابه [164]

كما نجد قول الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى 5 وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى 6 فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى 7 وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى 8وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى 9 فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[165] يقول : استدل الأصحاب بهذه الآية على صحة قولهم في التوفيق والخذلان، وهو أنه جعل المعصية بالنسبة إليه أرجح من الطاعة، وإذا دلت الآية على حصول الرجحان لزم القول بالوجوب، لأنه لا واسطة بين الفعل والترك، ومعلوم أن حال الاستواء يمتنع الرجحان، فحال المرجوحية أولى بالامتناع، وإذا امتنع أحد الطرفين وجب حصول الطرف الآخر ضرورة أنه لا خروج عن طرفي النقيض.[166]

وهنا نعود إلى نظرية الكسب عند الأشاعرة فخلق الهدى متعلق بخلق القدرة الخاصة على الطاعة وخلق الضلال متعلق بخلق القدرة الخاصة على المعصية، والتيسير متعلق باختيار الإنسان وعمله سواء أكان طاعة أم معصية ويتوقف عليه خلق الضلال والختم والطبع، والخذلان، أو خلق الهدى بالمعونة والتوفيق، فضلاً من الله متعلق بمشيئة الله وإرادته، وليس استحقاقاً موجباً كما قالت المعتزلة، وهذا التوفيق يكون كسباً مبنياً على عمل الإنسان وهذا ما يقرره الرازي عن الهداية والضلال : لقوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل﴾[167] ﴿نهدي به من نشاء﴾ [168] فنقول أثبت الله لنا فيه كسباً مبنياً على فعل، كما قال الله تعالى:﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾. ثم قال تعالى: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾. [169]. [170]

(163)كبرى اليقينيات الكونية: البوطي، (ص156).

(164) شرح المواقف، (ص276).

(165) [الليل: 5 – 10]

(166) مفاتيح الغيب: الرازي، (31/ 184) شرح المواقف: الجرجاني، (ص276)

(167) [الإنسان: 3]

(168) [الشورى: 52]

(169) [المزمل: 19]

(170) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (28/ 113).

الشهرستاني يرى أن التوفيق والخذلان ينتسبان إلى الله تعالى على جهة واحدة فالتوفيق من الله تعالى خلق القدرة الخاصة على الطاعة، وهي تتجدد فلكل فعل قدرة خاصة والقدرة على الطاعة صالحة لها دون ضدها من المعصية فالتوفيق خلق تلك القدرة المتفقة مع الفعل، والخذلان خلق قدرة المعصية، وأما الآيات في الخلق فنسبتها إلى الموفَق كنسبتها إلى المَخذول، والقدرة الصالحة للضدين أعني الخير والشر فهي توفيق بالإضافة إلى الخير وهي خذلان بالإضافة إلى الشر.

والشهرستاني يقسم التوفيق قسمة عموم وخصوص، فعموم الخلق في توفيق الله الشامل لجميعهم، وذلك نصب الأدلة والأقدار والاستدلال وإرسال الرسل وتسهيل الطرق، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وخصوص الخلق في توفيق الله الخاص لمن علم منه الهداية وإرادته الاستقامة وذلك أصناف لا تحصى وألطاف لا تستقصى تبتدئ من كمال الاعتدال في المزاج، أحدهما من جهة الطبيعة طيناً والثاني من جهة الشريعة خلالاً. [171] يعني هذا الفضل وهذه البينات لا تنفع إلا إذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق. [172]

والحق في المسألة تسليم التمكن والتأتي والاستطاعة على الفعل على وجه ينتسب للعبد وجه من الفعل يليق بصلاحية قدرته واستطاعته وإثبات الافتقار والاحتياج ونفي الاستقلال والاستبداد فنجد في التكليف موردي الخطاب فعلاً واستطاعة ويضاف في الجزاء مقابلة وتفضلاً. [173] أي أن هناك عموماً وخصوصاً بين لفظي الهداية والتوفيق والإضلال والخذلان فالهداية توفيق من الله والتوفيق بالطلب والتوجه إليه.

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية والنقدية لمصطلحي الهدى والضلال

الدلالة الوضعية لهذه المفردة هو الدلالة والإرشاد ثم تطور وتوسع مفهوم الهدى والهداية في القرآن الكريم عن معناها اللغوي، وذلك بتعميم الدلالة وتوسيعها ليشمل الكتب والرسل والقرآن والتوراة والإنجيل والتوفيق والإلهام وغيرها من المعاني، وذلك حسب السياق الذي وردت ضمنه، فمن معاني لفظ (الهدى) في القرآن: فقد ورد الهدى بصيغ وإضافات متعددة وسياقات مختلفة وقد وردت الآيات بكلا المعنيين فقد يراد بها هداية التوفيق والتسديد والإلهام وخلق الهدى والإيمان، وقد يراد بها هداية الدلالة والإرشاد، والبيان، ولم يتجاوزها القرآن إلا فيما يتصل بالمعاني الإسلامية.

وبتتبع المعاني والدلالات لمصطلح الهدى عند الأشعرية:

يتفق الأشاعرة مع المعنى اللغوي والقرآني لمفهوم الهدى بما دون الله من حيث: الدلالة والإرشاد والبيان والدعوة بمعنى هديته الطريق أرشدته إياه وأريته وأوصلته سواءً اهتدى أو لم يهتدي، والهداية الثانية من الله تعالى بخلق هداهم وشرح صدورهم وتوفيقهم وإعانتهم.

ويجوز الباقلاني معنى: يهديهم في الآخرة إلى الثواب وطريق الجنة وذلك هدى لهم من فعله، ولكن يميز الأشاعرة بين ثلاث مستويات لهذا المفهوم:

المستوى الأول: يشير إلى غريزة عامة مشتركة أعطاها الله لجميع المخلوقات، تدفعها للحفاظ على مصالحها وتحصيل أمر معاشها والحفاظ على بقاءها.

---

[171] نهاية الإقدام في علم الكلام الشهرستاني، (ص72).

[172] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (26/ 454) (27/ 678)، ينظر: أصول الدين: البغدادي، (ص 161).

[173] نهاية الإقدام: الشهرستاني، (ص70).

المستوى الثاني: هو الدعوة والإرشاد والبيان، وإسنادها مجازاً إلى الأدلة ومنها إنزال الكتب السماوية وإرسال الرسل ونصب الأدلة المودعة في الكون، وسمى كل سبب يوصل الانسان إلى المعرفة والطريق الصحيح إلى الله هدىً مجازاً.

والمستوى الثالث: من الله بمعنى خلق الهدى والتوفيق وشرح الصدر والمعونة لما ثبت أنه الخالق وحده.

وهذا ما نجده عند الإمام الأشعري والباقلاني والبغدادي والايجي، وهي شرح الصدورِ وتطهير القلوب، وخلق الإيمان والتصديقِ فيها وتسهيله عليها، وخلق الألطاف وتحريك الدواعي والهمم على فعله ومن ثم القدرة على فعله، بتيسير الأسباب المسهّلة له، وغير ذلك، وهذا معنى التوفيق والتيسير والعون على الخير وخلقه في القلوب أعطاه للمهتدين من عباده ومنعه من العصاة الكافرين والفاسقين.

والرازي سمى المستوى الثاني: الدعوى بـ(الهداية مجازاً) والمستوى الثالث بـ(الهداية حقيقة) من الله تعالى وحده. أي خلق في قلوبهم الاهتداء فالهداية الأولى شاملة جميع المكلفين، والهداية الثالثة منه خاصة للمهتدين وهي هداية التوفيق والإعانة والثبات للمؤمنين، لكن وفق السنن والقوانين الإلهية، وهي جميعاً ضمن المشيئة الإلهية المطلقة. وهذا يتسق مع مذهبهم في إسناد الأفعال إلى الله خلقاً، وإلى العبد كسباً.

ولا يتفقون مع المعتزلة الذين فسروا مصطلح الهدى بمعناه اللغوي فقط والذي هو بمعنى الدلالة والإرشاد والبيان، مما اضطرهم لتأويل الآيات التي لا تتفق مع مذهبهم الاعتقادي كتفسيرهم هداية الله لبعض الناس بأن معناها الحكم عليهم، أو العلامة، أو تسميتهم مهتدين أو هداية البيان والتعريف، وينكرون إسناد الهداية إلى الله تعالى، كخلق الهداية في العبد، وهو الأمر الذي جاء به القرآن صراحة.

مفهوم الهدى عند الإمام الأشعري إن الهداية من الله كما الرزق من الله خلقاً وإيجاداً ولكن كما أن الرزق يحتاج لطلب وسعي وأخذ بالأسباب، كذلك الهداية تحتاج لسعي وطلب والاهتداء بالدلائل النبوية، والهداية السماوية والأخذ بالأسباب المؤدية لأن يكون العبد أهلاً للهدى فيخلقه الله في القلوب بمشيئته.

مادة (ضلّ) لغة: تدل على معنى الضياع في غير حق، وتوسع اللفظ مجازاً ليدل على الهلاك والتفرق والموت، كما توسعت معاني هذا الجذر في القرآن الكريم وذلك بحسب التوظيفات المختلفة في السياقات القرآنية لهذا المصطلح، وحسب موقعها من الجملة فقد جاء لفظ الضلال بمعنى الكفر والإبطال والنسيان وإغواء الغير عن الحق.

ويتفق أكثر الفرق على المعنى اللغوي والقرآني، لمعاني ضل ومشتقاته، أي معنى الدعوة إلى الضلال إذا نسب إلى غير الله، ولكنهم يختلفون في مفهوم ومصطلح (إضلال الله) حيث لا يمكن إجراؤه على ظاهره عندهم فجنحوا للتأويل، وذلك لصعوبة إجراء اللفظ على معناه اللغوي.

فقالو: هو فعل الله عز وجل بخلق الضلالة عن الحق في قلوب أهل الضلال، حيث يضل الله الإنسان عقوبة على ترك الاهتداء، وكفر النعم، ومخالفة الفطرة والتمادي في الكفر والطغيان بعد معرفة الحق، والبيان، وحيث لا يستفيد الإنسان من تبليغ الرسالة، والإرشاد والبيان من الرسل، وذلك بترك توفيقهم وتضييق صدورهم، وإعدام قدرتهم على الاهتداء لأسباب.

-أو يضلهم عن الثواب وطريق الجنة في الآخرة.

-وقد يصل تمادي الإنسان في الكفر والضلال إلى أن يختم على قلوبهم، ويجعل الله على أبصارهم غشاوة.

وحسب تصور الإمام أبو الحسن الأشعري والأئمة الأشعرية: أن كل شيء بخلق الله والعبد مكتسِب، وإضلال الله لعباده متعلق بأسباب وعلل، ومن سنن الله أنه بين لهم طريق الهدى وطريق الضلال، وأرسل الرسل والكتب لهدايتهم وإرشادهم فمن شاء اختار الهدى، ومن شاء اختار الضلالة، وكليهما تدخل ضمن مشيئة الله وسننه، فالاهتداء والضلال اختيار الإنسان، وهو المسؤول عن اختياره بعد أن أرسل الله للإنسان من يرشده ويدعوه ويبين له

وبعض الأشعرية أطلق اللفظ بأن الله يضل ابتداءً ولكن بالنظر إلى القدرة المطلقة لله تعالى ولنفي الوجوب أو الاستحقاق للعبد على الله، لا بمعنى الإجبار والإكراه.

ويتفق الأشاعرة مع الجميع أن الله لم يذكر في القرآن الكريم أنه يضل المؤمن، وإنما يضل الكافر والظالم والفاسق. ذلك أن لفظ الإضلال ذكر إما عاماً أو ارتبط بمن وصفهم القرآن بأنهم يستحقون الضلال.

ويُلاحظ أن كل فرقة سلكت طريقاً في تنزيه الله عن كل نقص، وإسباغ صفات الكمال حسب رؤيتهم، ولكن استند الأشاعرة وحسب تصورهم إلى إطلاق القدرة والمشيئة، والحفاظ على إرادة للعبد واختياره لكن ضمن المشيئة الإلهية في سنن هذا الكون، وأنكروا لفظ الوجوب على الله، وقالوا إن عدل الله تعالى لا يقاس بعدلِ الشاهد منا، واستند المعتزلة إلى صفة العدل.

التمويل:

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

المراجع:

1- القرآن الكريم.
2- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – دار الدعوة، إستانبول،1989 م.
3- ابن فورك: الحدود في الأصول، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999هـ.
4- ابن فورك: مجرد مقالات الأشعري، أحمد عبد الرحيم السايح. مكتبة الثقافة الدينية، ط1 (1425هـ).
5- أحمد بن فارس (ت395هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (1399هـ).
6- أحمد بن فارس (ت 395هـ)، مجمل اللغة، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (1406 هـ).
7- إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت، ط4، (1407 هـ – 1987).
8- إسماعيل الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم: نديم مرعشلي– أسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت.
9- إسماعيل بن عباد أبو القاسم الطالقاني (ت 385هـ): المحيط في اللغة. تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، (1414هـ–1994م).
10- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون،أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، (1418هـ).
11- الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري(395هـ): الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، (1428هـ–2007م).
12- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
13- الراغب الأصفهانى (ت 502هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1.
14- سعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد، ت عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب لبنان–بيروت، ط1، (1419 هـ).
15- الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، التعريفات: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، (1403هـ –1983م).
16- الشريف الجرجاني: شرح المواقف، تحقيق أحمد المهدي، مصر دار المحامي للطباعة.
17- الغزالي أبو حامد محمد الغزالي (ت 505هـ): إحياء علوم الدين، (ت505هـ)، دار المعرفة بيروت.
18- الغزالي أبو حامد محمد الغزالي (ت 505هـ): قواعد العقائد، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب – لبنان، ط2، (1405هـ – 1985م).
19- الفيروزآبادى (ت 817هـ) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة
20- الفيروزآبادى (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، (1426 هـ – 2005 م).
21- القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة: ت عبد الكريم عثمان، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، (1416هـ).

22- القاضي عبد الجبار، متشابه القرآن، تحقيق عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة، 1969م.
23- أيوب الكفوي، الكليات، ت عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ط2، 1419هـ.
24- جمال الدين، ابن الجوزي: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق: محمد كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، ط1، (1404هـ-1984م).
25- حسين بن محمد الدامغاني (ت: 478 هـ)، الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، تحقيق: عربي عبد الحميد علي. دار الكتب العلمية – بيروت.
26- رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1402هـ.
27- سيف الدين الآمدي (ت 631 هـ): أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق: أحمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، ط2، (1424 هـ – 2004 م).
28- عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (ت 911هـ): معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة – مصر، ط1، 1424هـ – 2004 م.
29- عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي(ت1031) التوقيف على مهمات التعاريف عالم الكتب، عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط1، (1410هـ-1990م).
30- عبد القاهر البغدادي، أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، (1423هـ-2002م).
31- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، ت إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت
32- عبد الملك الجويني، (ت 478 هـ): الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: تحقيق: محمد موسى وعلي عبد الحميد، السعادة، مصر، (1369 هـ – 1950 م).
33- علي بن إسماعيل، أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين: (ت 324هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، ألمانيا ط3، 1400 هـ – 1980 م،
34- علي بن سيده المرسي (ت 458هـ) المحكم والمحيط الأعظم: تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، (1421 هـ – 2000 م)
35- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير (ت 606هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية، بيروت، (1399هـ – 1979م).
36- محمد ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1 – 1410 هـ.
37- محمد بن أبي بكر الرازي (ت 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، (1420هـ / 1999م).
38- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، (2001م).

39- محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة، ط 2، (1384هـ - 1964 م).
40- محمد بن الطيب أبي بكر الباقلاني (403هـ) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط2، (1407هـ - 1987م).
41- محمد بن الطيب أبي بكر الباقلاني (ت 403هـ)، الانتصار للقرآن، تحقيق محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، ط1، (1422 هـ - 2001 م).
42- محمد بن الطيب أبي بكر الباقلاني: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1413هن 1993م)
43- محمد بن دريد الأزدي،جمهرة اللغة: تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط1، 1987م.
44- محمّد بن مرتضى الزَّبيدي ت 1205هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، ت مجموعة محققين، دار الهداية.
45- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت 548 هـ)، نهاية الإقدام، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1425هـ).
46- محمد الشهرستاني، (ت 548 هـ) الملل والنحل، محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
47- محمد بن عيسى، الترمذي، (ت 279هـ): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط3، (1395هـ - 1975م)
48- محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، (ث 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
49- محمد زكي محمد خضر: معجم كلمات القرآن الكريم، المكتبة الشاملة
50- محمود بن عمرو. الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، (1419 هـ - 1998 م).
51- مقاتل بن سليمان: الوجوه والنظائر، ت أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2008م،
52- ناصر الدين البيضاوي (ت 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، (1418 هـ).
53- يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، البصري، (ت200هـ)، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، تحقيق هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، (1979 م).